

المكان المُتخيَّل في رواية "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" لبثينة العيسى

سوزان مشير حمد / قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة صلاح الدين – أربيل، أربيل، إقليم كردستان، العراق.



CORRESPONDENCE

سوزان مشير حمد

suzan.hamad@su.edu.krd

2024/05/30

الاستلام

2024/08/04

القبول

2024/12/15

النشر

الكلمات المفتاحية:

المتخيَّل،
الفضاء،
الفانتازيا،
العالم السفليّ.

ملخص

لا شك في أن (المكان) هو العنصر الرئيس في العمل الأدبي السردى، ولا سيما في روايات ما بعد الحداثة، حتى إن البعض يعده الهيكل الذي يحمل عناصر السرد كلها، ويربط كل العناصر الروائية مع بعضها، وتسعى الروايات العربية الجديدة إلى الخروج من وصف المكان من حيزه الضيق إلى مساحة رحبة تشمل الميدان التأملي والمتخيَّل، وهذا ما تقدمه رواية (عائشة تنزل إلى العالم السفليّ) للروائية الكويتية (بثينة العيسى) في إبداع عالمها السردى المختلف، وأماكن وأجواء المكان تخلق في آفاق فلسفية ونفسية وروحية واجتماعية، عبر شخصية (عائشة) التي تفاجئنا في بداية الرواية بقولها "أنا عائشة، سأموت خلال سبعة أيام، وحتى ذلك الحين قررت أن أكتب"، الكاتبة الكويتية بثينة العيسى تخلق من أسطورة (عثتار) ومحنة هبوط إنانا، حكاية عصرية من هبوط عائشة في محنة القلوب المقهورة والمعذبة.

وانطلاقاً من هذا الدور الاستراتيجي للمكان، ومن هذه الفجوة النقدية، ستركز دراستنا على المكان الروائي في تحرياتها النظرية والتطبيقية للوصول إلى تجليات المكان الفنية والدلالية والجمالية، ولا سيما في الرواية الحداثيّة (عائشة تنزل إلى العالم السفليّ).

About the Journal

ZANCO Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international, multi-disciplinary, peer-reviewed, double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields.

<https://zancojournal.su.edu.krd/index.php/JAHS/about>



المقدمة:

تساؤلات البحث: سؤال بات يشغل فكر أغلب المختصين في الرواية العربية عن أهمية عنصر المكان الروائي، وهل يقتصر البعد المكاني- في الرواية على البعد الواقعي والجغرافي فحسب؟ أم أصبح المكان الروائي النواة التي يحتضن جل عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، وهل نبثُ بذكريات الطفولة خلال المكان، ونرى العالم ونحكم على الآخر من خلال هذه الأماكن؟ أما عن أهداف البحث: فتسعى هذه الدراسة في المقام الأول إلى بيان أهمية -المكان الروائي- بوصفه مكوناً أساسياً في بنية الخطاب الروائي، بيد أن المكان، رغم هذه الأهمية القصوى في تشكيل الخطاب الأدبي، فإنه ما يزال يفتقد إلى مقاربات ودراسات نقدية تنظيراً وإنجازاً، لا سيما في ساحة الخطاب النقدي العربي المعاصر، وانطلاقاً من هذا الدور الاستراتيجي للمكان، ومن هذه الفجوة النقدية، ستركز دراستنا على المكان الروائي في تحرياتها النظرية والتطبيقية للوصول إلى تجليات المكان الفنية والدلالية والجمالية وخاصة في الرواية الحديثة "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" لبثينة العيسى.

محاور البحث: تبدأ هذه الدراسة بمقدمة نظرية عن مفهوم المكان الروائي، ومنها المتخيل وأهمية المكان الروائي، ثم تقسم الدراسة على مبحثين كالآتي: الأول: أنماط المكان في رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي. الثاني: دلالات المكان المتخيل، ومنها العالم السفلي، ثم نذكر أبرز النتائج التي تم التوصل إليها في نهاية الدراسة.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة: فهو المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة بالمنهج النفسي في تحليل البنيات الفنية للمكان الروائي. أما الدراسات السابقة عن المكان الروائي، فقد ارتبطت بحدود المكان ووصفه والتركيز على أنواعه، دون التعمق في دراسة المكان داخل النص الروائي، ولم نجد دراسة سابقة عن بنية المكان في رواية (عائشة تنزل إلى العالم السفلي) لبثينة العيسى، انطلاقاً من هذه الفجوة النقدية جاءت دراستنا التحليلية للمكان المتخيل في هذه الرواية، وقوفاً عند أبرز الدلالات النفسية والرمزية والأسطورية لهذه الأماكن الفنية.

1- التمهيد:**تعريف المصطلحات:**

نظراً لكثافة حضور المكان في النص الأدبي، فقد أصبح المكان مفتاحاً من مفاتيح استراتيجية القراءة في الخطاب النقدي، ومنها يلج القارئ إلى النص الروائي بقصد استنطاق شخصياته وتفكيك عناصره، لهذا اتجهت الدراسة إلى اختيار المكان كموضوع اشتغالنا النقدي، عبر تحليل رواية "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" ولما يشكله نص رواية بثينة العيسى، ولا سيما هذه الرواية من مغامرة كتابية جريئة في صياغتها الذاتية والواقعية برؤية روائية جديدة، ونمهد الدراسة بالوقوف عند المصطلحات الآتية:

* المكان: تعددت دلالات المكان كونه ارتبط بالكثير من الميادين المعرفية والفلسفية والنفسية، لكن الناقد يوري لوتمان هو أول من نقل معنى المكان من دلالاته الفلسفية إلى معناه السوسولوجي وعرفه بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشياء المتغيرة... تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة والعادية مثل الاتصال والمسافة" (لوتمان، 1986: 89).

* المتخيل: قبل معرفة المتخيل نبدأ بمعرفة الخيال: فالخيال لغة: يعني الصورة التي يراها الناظر في الحلم، أو المتخيلة في اليقظة. ويحدد الخيال بكونه مجمل العمليات الذهنية التي تتولد منها الصور؛ وقد تنشأ عن عملية استحضار الإحساسات في حال غياب الأشياء، التي كانت سبباً في عملية الاستحضار. والخيال عند ابن منظور من مادة خَيْل "خال الشيء يخال خَيْلاً وخَيْله وخيلان ومخاله ومُخَيَّلة فتخيَّل وخيلولة: ظنَّه" (ابن منظور، 1989: 930). وتخيَّل الشيء أي تشبهه وتخاليل له، أو تصوره وتبينه و"الخيال والخيالة: ما تشابه لك في اليقظة والحلم" (المصدر نفسه: 932). وترد عند ابن منظور مفهوم: التخيل والتصور والتوهم بمعنى واحد.

* التخيل (Imaginary): عملية تأليف بين الصور، وإعادة تشكيلها، وهو مرادف للتوهم والتمثيل، أما الكندي فقد اعتبرهما مترادفين للكلمة اليونانية الفانتازي (phantasy): وهي قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبية طينتها، ويقال الفانتازيا، أو الغرابية هي: التخيل، وحضور صور الأشياء المحسوسة وغياب طينتها؛ وبذلك تنتقل هاتان الكلمتين، من المباحث النفسية المتعلقة بسيكولوجية الإدراك إلى مجال الاصطلاح الفلسفي، ينظر: (الكندي، 1978: 167)، وأصبح التخيل عنصراً من عناصر الرواية الحديثة والتجريبية، ولو عدنا إلى أشكال الرواية العربية ورهانات الحداثة نجدتها تقسم إلى نوعين: روايات تلجأ إلى تزييف العواطف والحقائق، ولا سيما الممكن المحتمل من خلال الجنوح إلى النفس الرومانسي الفجِّ والإغراق في الذاتية والبكائية، والتي سادت في بدايات القرن العشرين، أو أن تكون مشهداً للتصادم والتجريب والحداثة وهي "الرواية القادرة على التقاط

الأنغام المتباعدة، والمتنافرة، المركبة، متغايرة الخواص لإيقاع العصر، وذلك بواسطة الطبيعة البوليفونية التي ينطوي عليها النسيج الروائي الذي يؤلف بين العناصر المختلفة والخاصية الحوارية التي تجمع الأضداد". (عصفور، 1993: 5). وهناك التظاهرات الأدبية الأخرى للمتخيل أو القريبة منه، (الفانتازيا) الذي يأتي كتعبير عن تراكم مظاهر عجائبية وغرائبية والمعالم الرهيبة، وبهذا المعنى الفانتازيا هو تخيل تكمن بترسبات اللاوعي وأحلامه، وهي شكل من أشكال التعبير الرمزي والفني. ويعتمد على السرد العجائبي، وتشمل مجموعة تقنيات من طرف السارد-أو المؤلف- حتى يقرب المتلقي للعالم المتخيل إلى حد الممكن. وهنا يمكن أن نعرف المكان الروائي المتخيل: بأنه ذلك المكان الفني الذي يخلقه الروائي من إبداعه الخيالي، ويصوره عن طريق ألفاظ وكلمات في النص السردي، وعادة ما تكون هذه الأماكن التخيلية أما واقعية بإضفاء سمات فنية وعجائبية عليها، أو هي أماكن لا مرجع حقيقي لها، وهي المتمثلة بالتوهم والحلم.

2-1 نبذة عن الرواية:

تسعى هذه الرواية إلى الخروج عن وصف المكان من حيّزه الضيق إلى إبرازه في مساحة رحبة تشمل المساحة المتأملة والمتخيّلة، وهذا ما تقدمه رواية "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" للروائية الكويتية بثينة العيسى في خلق عالمها السردي المختلف، وأماكن وأجواء المكان تحلق في أفق فلسفية ونفسية وروحية واجتماعية، من خلال شخصية "عائشة" التي تفاجئنا في بداية الرواية بقولها "أنا عائشة، سأموت خلال سبعة أيام، وحتى ذلك الحين قررت أن أكتب" (العيسى، 2015: 11)، فالكاتبة بثينة العيسى- تخلق من أسطورة (عشتار) ومحنة هبوط إنا، حكاية عصرية من هبوط عائشة في محنة القلوب المقهورة والمعذبة. تقرّر البطلة/عائشة مسبقاً، وبكل جدية، إنّها ستموت بعد سبعة أيام، وستقضي هذه الأيام في الكتابة، عن كل شيء في حياتها، ومثلت موت الحياة بموت المكان وسكونه؛ لأن صغيرها وإنها الوحيد قد مات، ولا طعم للحياة من بعده، وشاهدت جثمانه الصغير ممدداً أمامها في حادث على الطريق، وكلما حلت ذكراه، اشتعل قلبها، وشعرت دون جدوى الحياة، فقد تركها لدنيا جافة، لا أمل ولا لذة فيها. فهي تقرّر موتها، دون ذكر الكيفية، ولا شكل للنهاية، فالموت ما هو إلا هروب من دنيا موجعة. وأصبح هاجس الموت يلاحقها في اليقظة والنام، في الغرفة، والشقة، والشارع، وعلى ضفاف البحر، وفي الحلم تمثل المكان بالعالم السردي السفلي.

2- أنماط المكان في الرواية:

قبل تحديد المكان في الرواية علينا أن نتيقن أولاً: أن جنس الرواية من المتخيل السردي أساساً، وثانياً: أن فن الرواية يصوغ عناصره وفقاً للرؤية الكلية للعالم، فالرواية تعد "عالمًا فنيًا مبنياً بوسائط جمالية يقتضيها الجنس الروائي، وإبداعاً سردياً منفتحاً على موضوعات متعددة... وهي لا تستكين لموضوعات جاهزة، وأبنية فنية معمارية، بل تخضع لشرطية التخيل السردي، مما يجعل تشكيلها محكوماً بمعطيات سياقية يحتكم إليها المبدع في بناء عالم الرواية" (التمارة، 2019: 305). وبهذا يختلف كتاب القصة في تقديم المكان في الرواية أو القصة بصورتين: فأما أن يكون المكان حقيقاً مألوفاً بكافة تفاصيله، يجسد تجربة حياتية وما يربط السرد بالواقع طيلة أحداث العمل، وإما أن يكون متخيلاً بالكامل، مما يمنح حرية أكبر للكاتب، ويدفعه للتحرر من معطيات واقعية عديدة وخلق نوع سردي آخر يمزج بين النوعين بطريقة فنية.

من المسلمات التي يبنى عليها المكان الروائي المعطيات السياقية السوسيو ثقافية، وهي تتأزر مع المعطيات الخاصة بالنمط الروائي المتخيل، وإذا رمنا تحديد المكان الروائي لوجدناه على أنواع، وذلك حسب تحديد النقاد للمتخيل المكاني، فالعلماء الغربيون حددوا مفهوم المكان وأنواعه بحسب أنساقها: فالمكان الاجتماعي حدده بوجاردوس، والمكان الثقافي حدده سوروكين، وهالو ويل حدد المكان بحسب المسافات على الصعيد التقني، وحدد لفين طوبولوجيا المكان، أما أمر فقد حدد المكان بحسب السياقات التاريخية ينظر: (لوتمان، 1986: 68). أما أبرز النقاد العرب الذين أولوا المكان عناية كبيرة في دراساتهم فهو الناقد ياسين النصير، إذ قسم المكان على ثلاثة أقسام وهي: المكان المفترض، والمكان الموضوعي، والمكان ذو البعد الواحد، أما الدكتور شجاع العاني فهو لم يخرج في تقسيمه للمكان -في أغلبه- على أربعة أقسام هي: المكان المسرحي، والتاريخي، والأليف، والمعادي. أما حسن بحراوي، فقد حصر تقسيمه للمكان بحسب علاقته بالأشخاص، إذ قسمه على مكان الإقامة، ومكان التنقل، في حين حاول الدكتور إبراهيم جنداري جمع ما- قيل قبله من أنواع الأمكنة تحت تقسيم موحد وعرضه بشكل ثنائيات متضادة، فجمع بين المكان الأليف والمعادي، والواقعي والمتخيل، المغلق والمفتوح، والتاريخي والآني، وفضاء العتبة والفضاء الواصل

ينظر: (الجنداري، 2012: 259-260). وسنعمد في بحثنا على هذا التقسيم الثنائي؛ لأنه أكثر شمولية وحضوراً في التجربة الروائية عموماً.

1-2 المكان المتخيل المؤلف في رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي :

يعد المكان الواقعي/ المؤلف من الفضاءات الأساسية في الروايات العربية، ولا سيما في الروايات الحديثة، ومنها: رواية (عائشة تنزل إلى العالم السفلي)، حيث سعت الروائية بثينة العيسى من خلال الأمكنة وما يرتبط بها من الأشياء والأشخاص والحوادث كمداد أساسي للحصول على معرفة الحقيقة، ومن الضروري التمييز بين المكان الواقعي والمكان الروائي في "المكان الروائي لا يتطابق مع المكان الواقعي، ذلك أن المكان الروائي يتحوّل عن المكان الواقعي المرجعي، وينضوي تحت إطار فاعلية الخيال عبر اللغة وعلاماتها، فتظهر صورة جديدة تتشكّل من أصوات وروائح بألوان وظلال وملبوسات" (سويرتي، 1991: 93)، فالمكان الروائي من صنع الكاتب أو المؤلف لكونه أمراً لا بد منه في الأعمال السردية؛ لأنه يسبغ على العمل الروائي وأحداثه صفة الواقعية، ويضفي طابع المعقولة على الأحداث، ويجعل الملكة الإبداعية عملاً خلاقاً.

تقدم بثينة العيسى- في روايتها أمكنة مختلفة ذات مرجع واقعي، بدءاً من المدينة ووصولاً إلى تفرعات شوارعها وأزقتها ومحلاتها... وتكاد كل هذه الأماكن الواقعية تقدم لنا انعكاساً للذات وأخرى للمجتمع، خاصة وأن وظائف هذه الأمكنة في الرواية تسجّر مع دلالاتها المرجعية، فتمهّ أمان: تراثية، وثقافية، وسياحية، وأماكن صحية... وهكذا. ويُنْبِجُ لنا التعرّف على المكان الواقعي من خلال ما يرجع إليه عبر الوظيفة الإيهامية للمكان الفني، وهذا بإسناده إلى علامات لغوية أو قرائن سياقية ظاهرة أو مضمرّة، وشكلت بثينة العيسى من المكان الواقعي المغلق (العُرْفَة) والتي عادةً ما ترمز إلى الأمان والراحة للإنسان، أو إلى الحياة الزوجية السعيدة والحميمة وصلّة التقارب والانصهار بين الزوجين، فحولت هذا المكان الرحمي والأليف إلى مكان عدائي يُثير الخوف والقلق من وجود مخاوف عبّر عنها من خلال أحلام اليقظة أو رحلة الموت والحديث مع الأموات، من خلال تجسيد هذا المكان عند شخصية النواة (عائشة) وقصة نزولها إلى العالم السفلي، وبأنها سوف تموت بعد أيام، وتساfer إلى عالم الموتى، عالم إنهن الميت والحديث مع الموتى.

أخذت الروائية مشهداً من المكان المغلق (العُرْفَة) للدلالة على إعادة الذكريات وكأنها اليوتوبيا تقف على أطلالها وتبكي عليها، وتجعل من المكان الحقيقي فضاء تخيلياً لتحليل مشهديات الواقع الاجتماعي، والتأزّم النفسي، والصراع الداخلي للشخصيات التي تتأرجح بين الواقع والمتخيّل، محاولة منها فك تشابكات الواقع المُزَيَّف إلى مشهد مفارق، وتبيّن الماضي البعيد الذي ما زالت تحلم بها الشخصية الرئيسة (عائشة) عبر رؤية وفلسفة تستفيد من تعالقات الواقع الحالي؛ لوضع جملة من الأسئلة التي تريد توجيهها عبر النص الروائي والواقع البأس الذي تنتمي إليه بعض شخصيات الرواية. كقول البطلة "غرقتك كما هي يا ولدي. زرقاء كالبحر، حقيبتك (البارني) في دولابك الصغير، وقميصك الأحمر المفضل لديك، لم أغسله منذ آخر مرة ارتديته فيه. عثرت عليه بين أكوام الغسيل كما العاثر على كنز، ودفنت وجهي فيه، أشمّه وأتَشَقُّ رائحة جلدك، أو ما بقي منها... عدا القميص والرجل العنكبوت، فأنا لم ألمس شيئاً، غرفتك مرتبة ونظيفة، غطاء سريرك البحري، القوارب في ستائرك، كل شيء في مكانه يا ولدي" (العيسى، 2015، 42)، نجد أن الروائية ولدقة تصويرها للمكان، فقد جمعت بين المكان ودلالات الألوان، وفيما يخص مكان ابن عائشة (عزيز) فقد جمعت العيسى بين مكان الطفل وأشياءه باللون الأزرق للدلالة على البراءة والنقاء.

وتنتقل الكاتبة من خلال هذه الأماكن وأسلوب إبداعها إلى المكان المتخيّل، مما يسهم في صنع أجواء من الصراع والإشْتِيَاك والتداخل والتجاوب والرفض من خلال صياغة جديدة للواقع الاجتماعي والسياسي في منح المكان الذهني المتخيّل إسمًا واقعيًا له وجود في العالم الخارجي ومعروف؛ لكونه من العناصر المهمة في بناء الشخصية ومساهمتها الفعالة في تحريك الأحداث وتطورها، كقول الساردة عائشة في وصف قاعة المستشفى "كان أمراً غريباً، ولكن الأغرب هو ما حدث في المستشفى، عندما أدخلوني غرفة العمليات... وغاص المكان في الأسود البهيم، وعدت لأطفو في فراغ المحايد، وأتأمل الذعر يتفجر في المكان، وأرى عدنان، غير مصدق يُردّد اسمي غاضباً، يعتقد أن غضبه... سيخيفني ويرغمني على العودة إلى قيد المادة". (العيسى، 2015: 83). نجد الكاتبة كثيراً ما تشير إلى المستشفى، وتبدع في وصف قاعاتها وغرفها التي تولد الخوف والهلع لدى المرضى وأهاليهم، ولكن الأمر عند عائشة كان مغايراً لكونها ألفت المكان ولأنها شعرت في هذا المكان بالسلام الأبدي وخلصها من العالم المادي واقتربها من العالم الروحي.

يرجع إبداع الكاتبة في تصوير أماكن الرواية كونها لم تكتف بتصويرها للمكان في بعده الحسي وحسب؛ ففي تصويرها المطعم تفاعلت الكاتبة مع المكان على مستواه الشخصي والجمعي؛ لأنه "الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم. ومن

خلاله تتكلم وعبره نرى العالم، ونحكم على الآخر" (باشلار، 2006: 43-44). فوجد الكاتبة متحوّلة بنظرها من المكان الواسع إلى المكان الضيق، وأحياناً نجد تحول منظر رؤيتها الوصفية للمكان متجهة من المسجد إلى المعنوي وهكذا، تقول الساردة عائشة في وصفها للمطعم "اخترنا طاولة في آخر بقعة في المطعم، وكأننا أردنا الاختباء. هناك جلسنا نأكل. وعين معاذ على" (العيسى: 194)، ولم تكتفِ الكاتبة بالوصف الخارجي للمطعم، بل تحولت رؤيتها الثاقبة إلى أجواء المطعم بدقة، وربطها بحركة الأشخاص وحركاتهم وأصواتهم ومشاعرهم بقولها على لسان عائشة "ارتجف صوتي، بدأت أنشج. كان زبائن المطعم يحدّقون في... وأنا أحرك إصبعي في وجه عدنان متوعدة وأردد (إياك! إياك!) ولكنه تابع متجاهلاً إصبعي، تهديدي، الوعيد في عيني، ونظرات الناس، وذعر مدير المطعم، وكؤوس الماء التي بدأت تتدافع من كل صوب، والأيادي الممتدة بالمناديل وسواها". (العيسى، 2015: 74). فوجد في هذا المشهد أن الروائية لم تكتفِ بوصف مكان الشخصيات الرئيسية فحسب، بل لديها اهتمام بمكان الشخصيات الثانوية، ومنهم مدير المطعم والزبائن، حتى وقفت عند إشارة أجسادهم وحركة أيديهم.

ويشكّل المكان مع الزمان محورين متشابهين، إذ تدور في ظلّهما حياة الأشخاص وأحداثهم اليومية وذكرياتهم، ولأنّ عائشة تعجز عن رد الزمان ولا سيما حينما كان ابنها الوحيد على قيد الحياة، فتقف على آثار المكان، ومنها مكان الفقد: (الشارع، والحديقة، والمستشفى، والمقبرة...)، فتقول في أحد المشاهد "وما الذي كنت أريده بأي حال؟ أن أحبته في حديقة المنزل؟ أن أدفنه في مكان خبيّ مثل كنز؟ لا أعرف عن ذلك اليوم إلا حصيلة ما جمعته من روايات الجيران، وشهادة زوجي الذي ظل محتفظاً بذاكرته على ما يبدو". (العيسى، 2015: 18). وليس لعائشة سوى استعادة ذكرياتها وعليه فالشر "عاجزون عن معايشة الاستمرارية التي تحطمت ونستطيع أن نفكر فيه فقط بمستوى تجريدي خال من الكثافة... الذكريات ساكنة، وكلما كان ارتباطها بالمكان أكثر تأكيداً أصبحت أوضح" (باشلار، 2006: 39). حتى أشارت الساردة لهذه الذكريات بظرف المكان (أمام ووراء ووسط) بقولها "مات عزيز... بين عيني، أقصد: من وراء ظهري، لماذا لم أكن أنظر إليه؟ تركته في وسط الشارع وشغلت، بأي شيء (العيسى، 2015: 18)، وأولت الرواية العربية أهمية كبيرة بالبيت كعنصر جمالي في الرواية، كونه حيزاً لمواطنة الشخص واتمائه وتحديد ورسم أحداثه اليومية، لكن بعد اضطراب الواقع واندلاع الحروب وكثرة الفواجع التي واجهت الإنسان، فقد تغير وصف الروائيين لهذه الأماكن الواقعية، فتغير مدلول هذا الحيز الهندسي من رمز للأمان، وتحول مدلولها في بعض الروايات للدلالة على القهر والضيق، فتحوّلت دلالات هذه الأماكن الأليفة إلى معادية ومُفزعّة، وهذا ما نجدها في رواية العيسى.

وهكذا يتلقّى القارئ معرفة بالبنية المكانية في هذه الرواية من خلال عين ساردة واحدة وهي (عائشة)، وعبر عملية سردٍ جمعت شخصية عائشة باليوميات المدونة، التي حملت الخواطر، وسجلت أحداث الماضي القريب والبعيد، وما يدور في الحاضر الآتي لها، والتي عكفت في بيتها، تجتّر ما حدث لابنها الوحيد (عزيز)، وتستعيد حادثة وفاته، وتكتشف كيف أن الحياة لا لذة فيها بعد فقدانه، وأنّ هذا الفقدان ترك جروحاً كثيرة، وكشف زيف أيامها وخلوها من السعادة، فقد تزوجت عائشة زوجاً تقليدياً من (عدنان)، وعاشت معه حياة زوجية رتيبة. وفي أحد المشاهد الحوارية تقول "تريدُ أن تأخذني إلى طبيب نفساني؟ وما المانع يا عائشة؟ ما المانع؟ ربّما يساعدك ذلك! - أريد العودة إلى البيت. - عائشة أرجوك... الآن"، وفي مشهد آخر تقول "عدتُ إلى البيت، تركت فطور عدنان على أول طاولة وعدتُ إلى غرفتي لأكتب". (العيسى، 2015: 96)، وإذا كان البيت يمنح فسحة في مآمن وحماية من تهديدات الخارج، ويمنح فسحة الحلم والتذكر، فإن البيت في رواية بثينة - ولا سيما عند شخصية عائشة - يكون مركزاً للهروب من الواقع المعيش إلى نقطة التحول للخيال والحلم والهروب من فوضى الحياة وإبداله بممارسة الكتابة في غرفة المكتبة. وتلجأ الكاتبة إلى تصوير المكان الفني الواقعي بوصف دقيق متنقّلة من المكان العام إلى الخاص، ثم ذكر ما تحتويه هذه الأماكن من الأشياء وأشياء المكان، بقولها في مقطع من الرواية "عاشت في شقة صغيرة في منطقة (السلام) مكونة من ثلاث غرف نوم: واحدة لها، واحدة لعزيز (رغم موته)، وواحدة للكتب. وعدنان/ زوجها لا عُرفَ له، هو مجرد فائض عن المشهد تتعاطى معه كلاجئ، ينام على الأريكة في الغالب" (العيسى، 2015: 108). تحاول الكاتبة الوقوف عند تفاصيل المكان، وتبين فيها أن الشقة التي تسكن فيها عائشة في منطقة السلام مكونة من ثلاث غرف، ومع تعدد غرفها، إلا أنه لا مكان لزوجها (عدنان) فهو ينام على الأريكة كلاجئ، ونستدل بذكر الكاتبة ووقوفها عند التفاصيل الصغيرة إيهام المكان، وكلما دقق السارد في ذكر تفاصيل المكان؛ كان المشاهد والأحداث أقرب إلى الواقع.

وبكل دقة تتحول الكاتبة من وصف المكان المغلق المعادي إلى وصف المكان المفتوح الأليف، ومن خلال المكان المفتوح (السطح) عبرت الكاتبة عن وصف دقيق جامع بين الزمان والمكان والحدث والشخصيات وما تمثله القيم والعادات للبلد، فتقول "أخطأت في حياتي ثلاث مرات، المرة الأولى، عندما وضعت سيجارة على شفتي في سطح منزل عمي، وجربتُ أن أستنشق دخانها،

ثم سعلتُ ورميتهَا. في ذلك المساء الشتوي، كنا نحاولُ- بنات عمي الثلاث وأنا- أن نجربَ التمردُ، محبطات من ضيق العالم، ومحدودية احتمالاته، بالنسبة إلينا تحديداً، وفي بلادنا تحديداً، قلنا سنتهور، سنجرّب الخطأ، سنجرّب الاختباء في السطوح، نفث الدخان ولعب الورق" (العيسى، 2015: 51). بثت الكاتبة عبر هذا المشهد الروائي أجواء السطح وحركة الشخصيات، ومنها عائشة مع بنات عمها في مكان بعيد عن الأنظار ورقابة الأهل، كان ذلك في بيت عمها على السطح في أمسية شتوية تصف ما دار بينهم من حوار عن العادات والتقاليد المحظورة عند العوائل الشرقية، حاولت الكاتبة من خلال هذا المكان المفتوح (السطح) البعيد عن الأنظار الكشف عن بعض من هذه العادات الممنوعة عند العوائل المحافظة: كتدخين السجائر ونفث الدخان ولعب الورق وخاصة للبنات الشرقيات، وكل ذلك كانت محظورة عندهم.

2-2 المكان المتخيل الفانتازي في رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي.

تشتمل الرواية على نوعين من التشكلات المكانية وهما: تمثيل الواقع الخارجي من خلال المحاكاة، والآخر تمثيل الرؤية أو الفكرة لدى الفنان أو الأديب من خلال الموازنة بينهما، وعليه يتشكل المكان الروائي من ثلاثة أنواع منها: مكان موجود قبل النص، ويمثل المكان الواقعي، والثاني مكان يتشكل في أثناء النص وهو المكان الفني، والثالث مكان ما بعد النص وهو مرتبط بين قدرة الكاتب لإبداعه ومعرفة المتلقي لتأويله، ينظر: (العدواني، 2011: 103). وهذا الأخير يطلق عليه بالمكان المتخيل، والذي يصعب التأكد من مرجعيته المحددة، إذ لا اسم له يمكن التمييز به، أو الذي لا صفة محددة له يمكن التمييز بها، أو هو المكان الذي لا مرجع له في الواقع، ولكنه ينطوي على صفات الأمكنة الواقعية، أي له صورة في الواقع المعيش، ويلجأ الراوي إلى هذه الأمكنة لدوافع نفسية وأخرى فنية تتمثل في الابتعاد عن رتابة السرد، وعادة، ما يكون استجابة لضرورة حكائية معينة، فيختلف الفضاء الذي تجري فيه الأحداث أو الأفعال، خالقة فضاء سردياً مغايراً من متخيل فني.

وتتمثل أهمية هذا النمط من المكان في العتبة النصية بأنه يحقق أهم وظائف العنوان وهي (الوظيفة الإغرائية: وهي التي يراد بها تشويق القارئ وجذبه، وتحقق هذه الإغرائية من غرائبية المكان، نسوق لهذا العنوان ذي المكان المتخيل في رواية "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" فالكاتبة بثينة العيسى تبدأ عنوان وعتبة روايتها بالتخيل وهي التي تجرى عليها ذروة التحول بدلالة فعل النزول إلى العالم السفلي، وهي لحظة التحول من عالم الواقع إلى العالم المتخيل.

تكتب بثينة العيسى روايتها وحركة شخصوها، وتروي ما يحدث عبر تأزم شخصية (عائشة)، وتعمل في مقارنة النص الروائي في المكان المتخيل إلى نص بصري درامي تتحرك فيه الشخصيات، وبيان الحياة الخاصة بهم ونقل أيديولوجياتهم من خلال دلالات مكان تواجدهم وترحالهم، وما تُعانيه هذه الشخصيات من الصراع النفسي المتأزم واختلاف وجهات النظر وسيل من الأسئلة وطرح رؤى جديدة وتذكير بأحداثٍ مضت وحلول استشرافية من خلال الأماكن المتخيّلة الفانتازية، ومنها (العالم السفلي).

وحين تتعقب المتخيل الروائي في رواية (عائشة تنزل إلى العالم السفلي) نجد أنّ أحداثها تدور في مكان متخيل أطلق عليه الروائية (العالم السفلي)، وحددته من مستهل الرواية بهذه التسمية، والتي لا تحيل إلى مكان واقعي بعينه، ولا مرجعية واقعية لهذه الأماكن التخيلية إلا عن طريق الحلم أو أحلام اليقظة. يمكن تمثل ذلك بمشهد وصف عائشة لحظة تعرضها لحادث سيارة: "صبيحة يوم ميتي الثالثة صدمتني سيارة وأنا واقفة بين أمي ومريم...، لم يظن أحد أنني سأعود من تلك الميتة... متُّ بحادث سيارة، كما مات عزيز، حلقتُ في سماوات الحيات مرة ثانية، وأنا أرى البلبلة والذعر والألم البشري يستشري في العالم الأرضي، أتأمله بدون إحساس بالخسارة... وأخذتُ أستسلم للبياض السديمي أطفو، نحو الأعالي، من قال إن الموت عالم سفلي؟ الموت- لعلكم يا من تعرفون كل شيء- يوجد فوق". (العيسى، 2015: 109)، فهذه الأماكن التخيلية التي أشارت إليها الرواية هي الأماكن التي لا وجود لها في مدونات التاريخ، ولا تحيل إلى مكان قائم في الواقع المائل خارج النص الروائي.

ولو نظرنا إلى هذه الأماكن المتخيّلة في الرواية نجد: العالم السفلي، العالم العلوي، البياض السديمي، حيث ثبتت هذه الأمكنة المتخيّلة مسندة إلى الروابط الإحالة في مسار السرد، لتوسيع فضاءية الخطاب الروائي، وعدم اتساع المكان الواقعي الاعتيادي حجم وفداحة القهر والضياع الذي تعانيه بطلة الرواية عائشة، ولعدم اتساع المكان الواقعي لدلالات الخطاب الروائي النسوي وما تعترّيه من المخاوف والتهميش. ومن الطواهر اللافتة، والمضامين الجديدة في فضاءات الرواية العربية المعاصرة، ظاهرة المتخيل والعجائبي، حيث لم يعد الروائي المعاصر ناقلاً حرفياً لمرجعيات الواقع الخارجي، ولا معنياً بوصف دقيق لشخصيات حقيقية مستنسخة من الواقع، أو تحديد أزمنة وأمكنة واقعية؛ بل صنع الروائي المعاصر لنفسه جناح يطير إلى مكالم الخيال لخلق عالم آخر عالم متخيل موازي للواقع في عمله الأدبي. ينظر: (بن النور، 2014: 11).

وتحاول الكاتبة بثينة العيسى أن تجعل القارئ يدخل في أحداث تعيشها وتخيّلها بطلّة روايتها (عائشة) ليشاركها عالمًا مزجت فيه بين الواقعية والخيالية الذهنية، وبمفارقة وذكاء أخذ المتلقي إلى عمق العالم الثاني: عالم الموت والحساب بأسلوب الواقع، وبنسج السرد بدقة حيث الاقتراب من الدراما، وبث صور حسيّة إلى سرد مسرحي عبر تشابكات الأحداث المتدفقة التي تتمكن فيها الكاتبة من خلط الخاص بالعام، والتوجه من الأنا الفردية إلى الأنا الجمعية من خلال تشظي الصورة إلى صور مكانية تحمل دلالات ومعاني بأبعادٍ فلسفية ونفسية واجتماعية من خلال التجاذب والتنافر والتضاد والتوافق في أطراف الحوار، وهذا ظاهر من قولها، "لون الحياة أسودٌ مُشع، ومعناها الوحيد هو الموت، بمجرد ما أدركتُ ذلك، أعني: لون الحياة ومعناها، صار جسمي يستجيب لحقيقته الوحيدة: حقيقة الفناء، و صار بوسعي أن أموت، وأن أعود، أن أنأرجح بين العالمين: عالم الغيب والشهادة، وكأني محكومٌ علي بالتردّد الأبدى بينهما، معلقة بخطاطيف ألي، في برزخ لا ينتهي أو يكاد". (العيسى، 2015: 20). ولأن عالم الموتى متمثل بالقبر والتراب. فالعيسى ولعمق بصيرتها الفنية تخيلت حركة الشخصيات، ومنها عائشة في تلك الأماكن بقولها "أنا وحدي كما أنا لحظة قذفت في الحياة، وحدي أيضاً سأكون ... تحت التراب، قريباً جداً. الوحدة-إذن- هي الشيء الوحيد المؤكد، الحقيقي، في هذه الحياة، الأهلون خرافة، الأصحاب كذبة، والزواج نكتة... لقد هجرني الجميع" (العيسى، 2015: 21). فالقارئ يتردد ومنذ العتبة الأولى من أنه إزاء عالم فانتازي خيالي لا وجود له في واقعه المعيش، كالعالم السفلي، المكان الذي يتناقض عن المكان الواقعي كون العالم السفلي يتسم بالعزلة وظلام والوحدة.

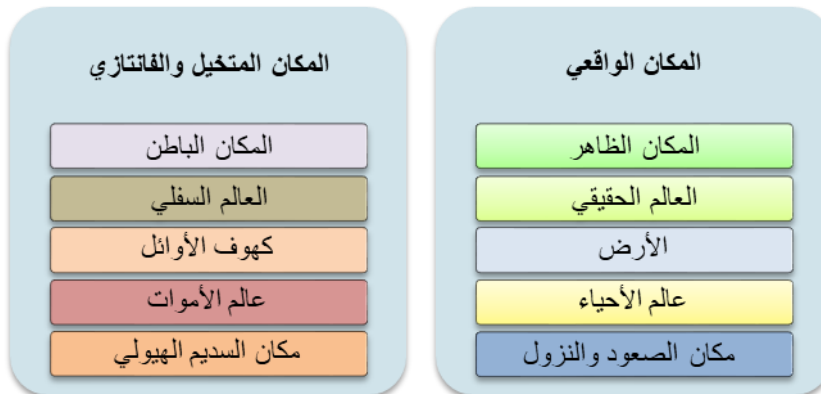
وأرادت الكاتبة من هذا العنوان (العالم السفلي) تحقيق غايتين مهمتين: الأولى: نقل القارئ إلى عالم آخر يعكس ضغوطات العالم الواقعي، والثانية: هو نقل موضوع الرواية الرئيس بشكل مغاير ينسجم مع ثيمة هذه الرواية وأحداثها، وبشكل موجز ومكتفٍ، فقد لجأ أكثر كتّاب الرواية العربية إلى الأسطورة في مضامين وعناوين رواياتهم كمحاولة منهم "لاستعادة مناخات البداية الإنسانية، ولإثراء التعبير الأدبي وتحرره من جفاف الواقعية" (الصالح، 2001: 149). لذا جاء هذا العنوان متناغماً للتعبير عن الرؤى الإنسانية والوجودية، وهذا ما تنبّهت له بثينة عيسى في روايتها، "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" وهو عنوان قائم بشكل كامل على المكان المتخيل الفانتازي، وتكشف هذه الرواية عن العلاقة بين المعذب والفاقد في مشهدية درامية عميقة الأثر وأحداث متشابكة، وتود الكاتبة خلق أسطورة أنا / عشتار بكل ما تحمل دلالات هذا المتخيل والسفر والنزوح إلى العالم السفلي. وتجعل من شخصية عائشة الواقعية عشتار وإنانا الأسطورية عندما هاجرت الأرض، ونزلت إلى العالم الآخر، وفي مشهد حوارى جمعت بين عائشة المقهورة مع حارسة الأبواب السبعة للعالم السفلي تقول "سيدتي هجرت السماء وهجرت الأرض، ونزلت إلى العالم السفلي، إنانا هجرت السماء وهجرت الأرض، ونزلت إلى العالم السفلي، جرت السيادة، وهجرت الملوكية، ونزلت إلى العالم السفلي". (العيسى، 2015: 62). وقد يتوهم المتلقي أن الرواية الحديثة عندما تسلك هذا الاتجاه تفر من مواجهة الواقع وأسئلة الواقع، وتصور أوجاع البشرية وتصدمات الواقع بمستوى المتخيل الفني؛ لكن في الواقع، وبعد القراءة المعمّقة لهذه الرواية نجد أن مسلكها التخيلي والتجريبي يبث معاني ودلالات بطريقة لا يمكن بثّها بالأسلوب الواقعي والمباشر.

هناك مجموعة أماكن متخيّلة في هذه الرواية يمكن الإشارة إليها عبر مكونات مكانية إضافية استعارية، ونقلها من الواقعية إلى الانزياح بها من حيث نمطيتها وأشكالها وحوادثها؛ ومن ثم خلق مكان جديد من المكانين يسمى بالفضاء البوليفوني وهو تعدد الفضاءات التي تفصح عنها تعدد الأصوات والمواقف في الرواية كقولها "أمضينا بقية اليوم بسهولة، وكان الزمن يتسرب بشأنه عندما تصير الحياة أخف. نادتي مريم: عواشة جربي المراجيح. ففعلت، اخترت أرجوحةً ودفعنتني إلى الفضاء، أمد ساقى إلى أعلى يرتفع أكثر، لأصير عصفوراً، وأنا أرى الكويت زرقاء مضيئة، كان المكان سخياً بالحياة، وكانت الألوان التي أراها، تغلف كل حي، هناك استرجعت طفولتي، وسمحت لنفسي بأن ألعب." (العيسى، 2015: 197). فقد أشارت الكاتبة إلى مجموعة أماكن تخيلية عبر طريقة إعادة الذكريات وأيام الطفولة، ولا سيما طفولة الشخصيات وسرد القصص والإشارات إلى الأماكن المتخيّلة على السنّة الشخصيات الروائية منها (مريم) أخت عائشة بقولها "نذكرين يا عائشة سدرّة بيت بو عبدالله؟ ضعت منا في أحد الأيام، وعثرنا عليك فوق، في السدرّة، وتوسلنا إليك لساعات لكي تنزلي، ولكنك لم تنزلي... كان ذلك بعد وفاة أبي بأسبوعين، ماذا كنتِ تفعلين في السدرّة؟ أذكر السدرّة التي تشبه أبي. كنتُ أحتبّي بين أغصانها. كنتُ أبحث عن أبي... أذكر سدرّة طفولتي البهية الطالعة من صدر المكان!" (العيسى، 2015: 197-198). وقد يقترن الشخصيات بالأماكن ويحن إليها، وقد يكون المكان منبع الذكريات، وتخلّد بعض الأماكن في ذاكرة الإنسان بمرور الزمان، وهذا حال (عائشة) عندما تذكرت شجرة السدرّة في بيت قريتهم أبو عبدالله، وتخلّدت صورة شجرة السدر في مخيلتها، حتى إنّها شبهت السدرّة وعلوها بقامة والدها المتوفى.

3- دلالات المكان في رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي:

حظي المكان في الروايات الجديدة باهتمام كبير، لأنه تجاوز كونه مجرد مسرح لوقوع الأحداث، وأصبح عنصراً متميزاً في الرواية، حاملاً دلالات عدة، أصبح محورياً أساسياً تدور حوله الرواية، ذلك أن المكان في الرواية غير المكان في الواقع، إنه مكان خيالي له أبعاده الخاصة، فهو الفضاء المدعم للحكي، وبه ينهض كل عمل تخييلي، ويجعل النص الروائي ينقل المادة المكانية الخام كما هي في الواقع إلى آفاق جديدة من الانزياح والرؤى التخيلية التي تصنعها اللغة الأدبية. ولا تقف دلالة المكان الروائي وما ترتبط به من سياقات نفسية واجتماعية عند الجانب الواقعي والتصويري؛ بل تتحول دلالات المكان وحوادثه إلى مكان مجازي "فطبيعة النمذجة في التصوير المكاني الأدبي تسخغ التجديد على التعبير المجازي ويستخدم كصيغة من صيغ التصوير الواقعي. وفي التعبير المجازي يستخدم وصف إحدى الحوادث من باب المقارنة، وفي وصف حادث آخر، وتكون عناصر الحادثتين مختلفة نوعياً ولكن بنيتها متماثلتان، وأن الإمكانية الموضوعية تعكس العمليات على شكل نماذج بواسطة المجاز قائمة في وجود تماثل في الواقع". (هورست ريديكر، 1977: 29).

من العنوان نستدل على أن قيمة رواية "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" تكشف عن المصير المأساوي للإنسان، وهذا النمط من المكان (العالم السفلي) محوره ضياع الذات وفقدان الهوية، لما يحمله المكان من هاجس وتردد كبيرين، وتكشف هذه الرواية عن حجم المعاناة التي عاشتها بطلة الرواية (عائشة)، وهي فتاة متعلمة دفعتها الظروف إلى الزواج من (عدنان) الذي يكبرها سناً وأداة التفاهم بينهما منعدمة، وبعد وفاة ابنهما الوحيد تدفعها الظروف ذاتها إلى الخوض في عوائق زادت من متاعبها وضياعها، وعائشة تصف هذه اللحظة بقولها "غادر عدنان وجاءت إنانا، بمجرد خروجه من المنزل تذكرت حلمي، الصحراء والقصيدة والربة السومرية التي تتأهب للنزول إلى الأسفل العظيم، الحياة فكرة مغرية (ولكن الموت يرف من فوق) كما يقول أخيل، بقيت أمامي خمسة ليالي" (العيسى، 2015: 64)، فرأت الكاتبة بثينة العيسى اختيار العالم الفانتازي السفلي عتبة معبرة عن حجم التردد والمأساة الإنسانية التي صارتها هذه الفتاة، والتي رامت الكاتبة من خلال شخصية عائشة تشكيل المؤلف الرمز للأنتى المعذب والمهمش في المجتمع العربي عموماً. ولأن واقع عائشة المقهورة لا توصلها إلى الخلود إلا بمغادرة الواقع واللجوء إلى الحلم. ففي أجواء وأماكن هذه الرواية تواجه عائشة الموت في كل مكان سواء أكان واقعيًا أو خياليًا، وقضية الموت حاضرة في وعي كل إنسان، وتختلف النظرة إليه حسب كل ذات، فهناك من ينظر إلى الموت بوصفه هروباً من ضيق الدنيا وآلامها ومآسيتها فيختاره وسيلة للخلاص، وهناك من يراه انتقالاً إلى عالم مغاير، فيه الراحة والخلود، وهناك من يراه نهاية حتمية فيزيائية لكل كائن حي، وهناك من يراه عقوبة بحرمانه من الحياة. بنظر: (هيدجر، ستروس، 2018: 20). أما نظرة عائشة للموت فهي مغايرة؛ حيث تبث عبر مشهد الموت وتخيّلها للعالم السفلي عن الحزن والألم الشديدين أثر اختطاف المبكر لابنها الوحيد (عزيز)، وهذه الحادثة، تركت في نفسها فراغاً كبيراً وحزناً عميقاً. ليظل الشوق والفراق يُمنيان النفس بقاء عائشة المرتقب لابنها في جنة الخلد، وهذا ما دفعت الروائية بثينة العيسى لاختيار هذا المشهد وجعلت من عتبة الرواية مركزاً لسيرورة بناء نص روايتها، حيث ربطت عالم الموتى والعالم الآخر بفقد (عزيز) للأبد. وتحول حياة عائشة إلى موت متكرر لدرجة معاناتها الحزن والوجع. وتشكل فكرة العالم السفلي إرسال رسالة للمتلقى للكشف عن الحالة النفسية المزرية التي تعيشها بطلة الرواية، حيث يخيم مشهد الموت على كل عوالم الرواية بزمانها ومكانها. ويمكن الإشارة إلى هذه الأماكن المتخيّلة ومرجعياتها بمجموعة من المقاربات المكانية في هذه الرواية بالشكل:



من هنا تكشف أن المكان الروائي لا يقرأ قراءة بسيطة/ساذجة، فهو يحمل في طياته معاني استعارية وتأويله عميقة تشكل بصورة مباشرة أحياناً، وقد تحتاج إلى جهد تأويلي وقراءة متماسكة لها قدرتها على متابعة التنظيم المشهدي لمكان الشخصيات، والأمكنة المسرودة قد لا تتبادر دلالاتها إلى ذهن المتلقي مباشرة، وقد تكون قناعاً لدلالات ضامرة ومعاني ثاوية فيها الكثير من المجاز الذي تكمن شعريته في لا مرجعيته، فهو - أي المجاز- يجدد الفكر واللغة ويجدد العلاقة بالأشياء "إنه حركة نفي للموجود الراهن، بحثاً عن وجود آخر" (أدونيس، 1993: 144). وكلما ابتعد المتلقي عن المعنى الناجز للمكان توسعت وتوعت عتبات التأويل من المباشرة إلى آفاق الانزياح الرحبة لكشف حُجُب المعنى، والمعنى المنفلت سيبقى دائماً في حاجة إلى تأويل وإعادة قراءة على اعتبار أن المكان يحمل دلالات تاريخية وحضارية ورمزية ونفسية واجتماعية غنية بالمعاني والدلالات.

1-3 الدلالات النفسية للمكان:

لا تقتصر دلالة المكان الروائي عند المعنى الواقعي، بل تتسع دلالاته بما يرتبط به من سياقات نفسية واجتماعية، وتتحول من النموذج التصويري الواقعي إلى تصوير مجازي للمكان وحوادثه، وفي هذه الحالة يكون التصوير الأدبي المجازي تجديداً، وتحوّلاً للتصوير الواقعي وذلك بحسب تصوير المكان لشخصياته وحوادثه "فالمكان ليس أبعاد هندسية وحجوماً فحسب، ولكنه بالإضافة إلى ذلك نظام من العلاقات ووسطاً حيويّاً تتجسّد من خلاله تلك الشخوص التي تأخذ في مسارها خطأً مزدوجاً متناقضاً" (عبد العزيز، 1970: 79). وإذا كان البيت في الواقع ملجأ للراحة والأمان، فإن الروائيين حافظوا على صورته الرومانسية كونه يحتضن ذكريات الطفولة ولحظات جميلة عاش فيها الإنسان، أما شخصية عائشة فهي لا ترتاح لهذا الحيز، وإنما تريد إبداله في أكثر الأحيان بالعالم السفلي، حتى تلقى ابنها الميت. وتحوّل التصوير الهندسي للبيت عند الكاتبة العيسى- إلى مكان متصف بالخوف والرعب والتشاؤم. وبذلك فالكاتبة لم تعتن بتصوير الأثاث والأشياء، إنما صور المكان يُعده النفسي والاجتماعي المحكوم بشخصية عائشة التي يسكنها هاجس الموت في كل زاوية من بيتها. مع أن العائلة ملتفون حول عائشة في بيتها؛ إلا أنها تعيش في عزلة، وفي مشهد وصفها لتلك الأجواء تقول "بدأوا يتوافدون على عزلي منذ أفصحت عن جنوني، وصار حزني سافراً، وكأنه لم يكن مرثياً لهم طوال تلك الأعوام، رأيتهم يفدون من كل حذب وصوب، ينسلّون من فراغات الأمكنة، يجثمون على صدر وحدتي، أمي ومريم وإسراء... رأيت شقتي-جغرافيا سكوني- عرضة اجتياحهم وتدخلاتهم، يجلسون الآن في الصالة، يتصرفون مثل حراس للصحة وقيمين على شؤون الحياة" (العيسى، 2015: 104)، فعزلة الشخصيات الأثوية تشبهها العيسى- بفراغ الأمكنة وجغرافية السكون.

ثمّة مجموعة تعابير لغوية تدل على النفسية المضطربة التي تحس بها بطلة الرواية عائشة (العزلة، الجنون، الحزن) وهي الأفعال التي لا تصدر إلا من شخصية مرعوبة، حتى في الأماكن الأكثر أماناً، والتي فقدت ذلك بفعل العنف والأوهام التي تصدع في رأسها والأحزان التي تملأ ذاتها، وتحاول الخلاص منها، ومن فراغ الأمكنة في بيتها وهو "الوجود الحقيقي للإنسانية الخاصة التي تدافع عن نفسها، دون أن تهاجم، هذا البيت هو المقاومة الإنسانية، إنه الفضيلة الإنسانية، وعظمة الإنسان" (باشلار، ترجمة غالب هلسا: 66). وتولّد من ذلك الوجد وفراغ الأمكنة فوضى واضطراب نفسي تحوّل إلى هدم وكسر وجرح ومنها: كسر الإطار والصور حتى رأت الشخصية المضطربة (عائشة) الكسر في المشاعر بقولها "عندما دخلتُ أمي إلى البيت كنت ملقاة على الأرض لا حراك، عزيز... ضحكته المكسورة في البرواز المكسور، البرواز المكسور في الكف الدامي، كل شيء اختلط، الزجاج والضحكة المكسورة والجرح في اليد. حملوني إلى الصالة، وبدأت تتوافق عليّ كؤوس الماء وحببات البنادول... أختاي شرعتا من فورهما في ترتيب المكان، في إعادة مفرداته إلى مكانها الصحيح... كيف يَسَعُهُمَا أن تفعل ذلك؟ كيف يمكن للمرء أن يكثر لهذا القدر إلى بضعة وسائد مرمية وكؤوس محطمة، ولا يكثر للفوضى التي تعصفُ بداخله؟ أمي" (العيسى، 2015: 104). هنا نجد الكاتبة تتحول من وصف المكان إلى وصف أشياء المكان المبعثرة، وعندما تنكسر قلب المرأة تجد التحطّم في كل شيء.

وقد ترتبط الدلالات النفسية للمكان بالبعد النفسي- لشخصياته، أو بتنافر وتباعد الشخصيات لأماكن في أحيان أخرى، وهذه الأماكن تتراوح بين الواقعي أو بين المتخيل الأسطوري، تود الروائية بثينة العيسى بالعالم المتخيل السفلي المزج بين العالمين: العالم السفلي العام: رمز الخلود والراحة والعالم السفلي الخاص: رمز الصحو والوعي الشقي، وهي تبذل جهداً فنياً للمزاوجة بين العالمين وبلغة شعرية لإيهام قرائها إلى مكان مختلف، لترسم بلغتها هوية لنص تكتبه امرأة تحمل قلق الوجود، وهم المرأة المعذبة، وهنا يصبح المكان جزءاً من التجربة الذاتية لعائشة، المرأة الخاصة بكيانها وهويّتها وما تعانيتها من مأزق في علاقتها بمكانها وزمانها ومجتمعها، حيث تقول "سيدتي هجرت السماء وهجرت الأرض، ونزلتُ إلى العالم السفلي، إنانا هجرت السماء

وهجرت الأرض، ونزلت إلى العالم السفلي، هجرت السيادة، وهجرت الملوكية، ونزلت إلى العالم السفلي" (العيسی: 62). فحركة الهجر والنزول المكاني بين إنانا وعائشة متمثلتان، وكلتا هجرتنا السيادة والملوكية، ونزلتا إلى العالم السفلي. أما عن قضية الإفناء الاختياري يعني رغبة الذات في إنهاء وجودها في الحياة بإرادتها، وهو ما يوازي فلسفة الانتحار أو الموت البطيء، فالبطلة (عائشة) تختار كيفية موتها، وتعرف أسباب اختيارها، ولديها من الأسباب ما تجعلها مقتنعة أشد الاقتناع بهذه النهاية التي توصلها للخلاص، ولهذا عملت على تحديد زمانها ومكانها وأليتها، وعبرت عنها بقولها "بمناسبة جنوني الجديد، والفوضى التي أحدثتها، والكتب التي ملأت الأرض والأدراج والأرفف وحتى خزائن الثياب: فلسفة الموت، الحياة الآخرة، العمليات الانتحارية، العود الأبدي، تناسخ الأرواح... كل ما أنتجه الإنسان، بوحى أو بدون وحي، من أفكار عن الموت وأسئلته. لقد حوّلت المنزل إلى ورشة لإنتاج العدم" (العيسی، 2015: 63). فالمنزل مكان أليف وواقعي، لكن الرواية العيسى جعلته مكاناً لإنتاج الفوضى والعدم تيقناً منها أن "التجربة الإنسانية مراوغة، غائمة الملامح، وسير الأحداث يصعب التكهّن بوجهته، ومن نزعة اللايقين هذه التي تشدد عليها الرواية العربية الجديدة تهض التطويرات الشكلية، التي تقوم على تشييد سرد متشكك، يعرض العالم أمام أعيننا بغموضه، وهلاميته، وعدم ترابطه." (صالح، 2009: 14).

ومن الأماكن المتخيّلة النفسية ما يسمى بالفضاءات الواصلة: وهي الفضاءات التي تصل بين عالمين بكل دلالاتها وإيحاءاتها أو هي جسر يصل بين عالمين عالم خارجي/ داخلي، أو عالم محدود/ واسع، أو عالم واقعي/ مجهول، ومن هذه الفضاءات الواصلة الأحلام وهي "ترافق الفعل الروائي، وتكشف عن مستوى التفكير والتغيير والثورة، ولدى [العيسی] ترتبط أحلام الشخصيات الفاعلة والمؤثرة ارتباطاً صميمياً من أنها تصبح الواقع النفسي الخفي للروح" (النصير، 1986: 112). ويتم عادة اللجوء إلى هذه الأماكن بحثاً عن التنفيس أو البحث عن مكان آمن الذي تحلم به بعض الشخصيات الروائية. ومنها عائشة وتعبيرها عن هذه الأماكن "وبين القبضة المائية للشعر، والقبضة الفولاذية للوحدة، شعرت بروحي ترف خفيفة، وشعرت بما يشبه شعور الموتى، وداهميني نعاس غير مبرر... وغفوت وأنا أفكر بأشياء بعيدة ونائية: أفكر بالعشب والمطر، وديدان الأرض...، أفكر بالأشياء كلها، وأغفو وأطفو، لكي أتمم عزلتي... تكاد الرحلة أن تنتهي...". (العيسی، 2015: 203-204). فالإغتراب النفسي الذي تُعانيه شخصية (عائشة) زمانياً ومكانياً عبرت عنه الكاتبة بمجموعة ألفاظ مرتبطة بحركة وسكون الشخصيات في المكان منها: أغفو وأطفو والعزلة والبعد والنائي.

وقد يتحول مكان مادي إلى مكان معنوي نفسي، بمعنى أنه يتحول إلى حدود نفسية تسعى الشخصيات إلى عبورها وتجاوزها إلى العالم الآخر، ومنها الشخصية الرئيسة عائشة، فالرواية تعبير عن الأوجاع البشرية متمثلة بثنائية العالمين السفلي والعلوي، أي ثنائية المكان الروائي انطلاقاً من عتبة الرواية، وهي تعبير عن مجموعة أيديولوجيات رفضت القيود والتقاليد والأعراف المتوارثة، فهي رواية تكشف عن حياة العوائل الشرقية المحافظة على العادات والتقاليد والتزامات المرأة تجاه الرجل/ الزوج، والكشف عن بعض القيود التي صنعتها المجتمع على بعض الشخصيات، وخصوصاً لعائشة، وهي تسعى للتخلص من واقعها المزري ومحاوله عبور هذه الحدود المتمثلة بالتقاليد والأعراف، وهذا ما أشار إليه عنوان الرواية ذو الفضاء المتخيل (النزول إلى العالم السفلي).

2-3 الدلالات الرمزية للمكان:

قد يلجأ الروائي في أثناء وصفه للمكان إلى إضفاء صفة الرمز المفعم بدلالاته الخاصة وفق تصورات ووجهة نظره، قد يريد بذلك بثّ العوالم الغامضة ودون التصريح بمقاصده، ولعل استخدام الكاتبة بثينة العيسى الرمز في روايتها لمنح النص الروائي قيمة جمالية وفنية تمكنها من التعبير عن أفكارها تحت غطاء أدبي رمزي. "فالرمز إذن يتجاوز كثيراً مجرد كونه علامة، ذلك أنه يتخطى الدلالة، ويتعلق بالتأويل الناشئ عن استعداد مسبق. إنه محمل انفعالات وفاعلية. وهو لا يمثّل الأشياء تمثيلاً ما يعتمد التخفي فحسب، وإنما هو كذلك يحقق الأشياء تحقيقاً يعتمد النقص. إنه يتوسل بالبنى الذهنية. ويقارن برسميات عاطفية وظيفية محرّكة للحياة النفسية كلها" (شافالييه، 1990: 9). وكثيراً ما نجد أن العيسى في هذه الرواية تشير إلى المكان المائي، ومنه البحر مستخدمة التناسخ مع الآية القرآنية الكريمة من سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، كقولها في مقطع "قررت أن أسلك الطريق إلى البحر، وبسلاسة كنت أنساب في "شارع الخليج العربي" وكانت مياه الخليج فيروزية مطعمة بالتمر، قطعت الشارع مرتين، ذهاباً وإياباً، لا أسمع إلا صوتي الداخلي، وأستلي التي تعبت من مرقدتها، وقد أمعنت في النظر إلى البحر، حتى خيل إليّ بأنني أتفسد ماءه وأتعمد فيه، لم أكن نفسي، كنت تلك الأمواج، وكان بوسعي أن أرى عالماً يتفق بين أصابعي، عالماً كله ماء، مياه التكوين الأولى التي ابتداءً الله منها كل شيء." (العيسی، 2015: 94)، فالبحر رمز لمقام الولادة الروحية والانطلاق نحو العوالم الرحبة، وما الموج هنا إلا دلالة على النفور والتقلبات النفسية، والبحر هنا رمز مكاني يدل على الفضاء

المكاني الشاسع تعبيراً عن حجم المعاناة البشرية، ومنها الخوف والرعب من المجهول، ويأتي جمال الرمز ومنه الرمز المكاني عندما يخرج اللفظ من المعايير اللسانية، وحينها يحتاج القارئ إلى أن يرجع به إلى أصوله ومرجعياته التاريخية والفلسفية، والمُعطيات النفسية من شعور ولا شعور؛ وبذلك تنتقل معنى المكان الواقعي إلى الرمزي والتأويلي.

وينبغي الإشارة إلى أن عملية التأويل وللوصول إلى إشارية المكان لا تقوم مطلقاً بإلغاء المعنى الأولي والمباشر للمكان، لأن التأويل قراءة ثانية لا قراءة لاغية، وسنقدم بعض الأماكن التاريخية والحضارية والروحية في رواية "عائشة تنزل إلى العالم السفلي" في بعدها الحقيقي والمجازي والعناصر المؤثرة في جماليتها، ولو تعمقنا في هذه الرواية نجد أنها في أغلبها تكشف عن عالم المهْمُشين في العالم الشرقي عموماً، وفي العالم العربي بصورة أخص دليل أنها ترمز لها بمكان الصحراء وما تعانیه هذه الطبقة من إقصاء وتهميش، وقد بلور من عنوان الرواية (عائشة تنزل إلى العالم السفلي) إلى تطلع هذه الطبقة إلى ما خلف السور من حياة غير حياتهم بين عالمهم الخاص المرفوض وعالم المتخيل فضاء المتأمل والمرجو لدن الشخصيات المثقفة، ومنها بثينة والتي عبرت عن هذه المعوقات على لسان ساردة أثنى متمثلة بعائشة بقولها "غفوت، غفوت لخمس دقائق، وجدت الكتابة عصية والذكرى بعيدة، وبدا لي وكأن قوة القاهرة قد سرقت روحي، وزجت بها في شوارع مهجورة، رأيتني أركض وألهت، الظمأ يشتعل في مسامي، والخوف... كنت قد دفنته في الصحراء". (العيسى، 2015: 164). فالشوارع المهجورة رمز للخوف والظلام الذي تلقته شخصية عائشة، أما الصحراء فهو وصف للمكان الشاسع المفتوح، وقد تكون رمزاً للدلالة على أرض الخليج ومكان الوجود وكَيُونَتِه الكاتبة.

ومن الرموز التخيلية للمكان في رواية العيسى نجد وقوفها كثيراً عند لفظة الباب، ومنها الأبواب السبعة المأخوذة من أسطورة إنانا، ونستدل لهذا الرمز بمشهد حوار جرت بين عائشة وحارسة الأبواب "إنني أدخل البوابة الأولى، عتبة العالم السفلي، إن قدي تعبر الآن مملكة الأعالي... ادخلي يا عائشة، أنا الواقفة عند الباب، حارسة البوابة الأولى أنا، وأنا العابرة، وأنا الطريق. ادخلي يا عائشة، ولدي دخولك من البوابة الأولى، اخلعي عنك جلد المكان" (العيسى، 2015: 219)، الباب: يدل على مكان ثبوتي جامد مقيد بالجدران والإطار، وقد يكون رمزاً للتحويل أو الخروج من حيز جغرافي إلى حيز آخر، ودلالة الأبواب الرمزية تختلف بحسب السياق النصي المذكور، وهنا الباب رمز للمتاهات والعتمة والعالم المجهول الذي تواجهه عائشة بدلالة لفظة النزول ثم الدخول من هذه الأبواب إلى العالم السفلي.

3-3 الدلالات الأسطورية للمكان:

أشارت الكاتبة بثينة العيسى إلى بعض الأماكن المتخيلة مثل: العالم السفلي والعلوي وما بينهما، وأرادت بهذه الأماكن مزج الأسطورة بالسرد، ومنها البعد الأسطوري وتوظيف (أسطورة إنانا) السومرية في النص سعياً منها إلى تجليات الإنسان والوجود من خلال متن الرواية التي تختلف عن عتبتها التي شحنها بدلالات عدة تاركة المتلقي بين مداري القراءة والتأويل. تمثل (إنانا) ذاكرة المكان الأسطوري في حضارات الشرق القديم، وتعد صنوه للإلهة (عشتار) فهي في أساطير سومر توصف بأنها ملكة السماء والأرض، من مهامها أنها كانت مسؤولة عن نمو النبات والحيوان وعن الخصوبة بين البشر، وهي أيضاً النظير الأسطوري ل (تموز)، فقد نزلت أيضاً إلى العالم الأسفل، عالم الأموات ثم بعثت مجدداً. ينظر: (ولكشتاين وكريم، 2007: 29).

هذه الرواية تحكي أحداثاً واحدة، وهي قائمة في أغلبها على ذاكرة بطلتها عائشة وهي ذاكرة مليئة بخيبات الأمل والألم والضياع، حتى مآلها الترقب والخوف والتردد مع صمت ونظرة سوداوية، وقد انعكست هذه المشاعر على عموم الرواية، حتى وجدت الكاتبة أن الواقع بأجوائه وفضاءاته تعجز عن وصف كل ذلك، فلجأت إلى العالم والأماكن الفانتازية والأسطورية، ومنها أسطورة عشتار/إنانا، فلنتأمل هذه المناجاة على لسان عائشة "شعرت بقوة غريبة تمتصني إلى الأرض، وعادت مفردات المكان تصير أقل هلامية وأكثر حدة، كانت مفردات المكان تغرس أظفارها وأنيابها في عيبي وتدميه، وأنا أرجع إلى عالم الأشياء المسماة، وأهجر سديم الهيولي... رأيت جسدي مسجى أمامي ورأيت كسوري" (العيسى، 2015: 110). لهذا كانت أجراً محاولة في التاريخ لاستكشاف لغز الموت هي محاولة امرأة: إنانا، في نزولها الجسور إلى العالم السفلي عالم الظلمات عالم الموت، ولهذا صارت إنانا شقيقة روح عائشة في منامها، ويقظتها كما أسلفنا؛ في منامها عبر أحلامها الليلية، وفي يقظتها عبر قراءتها عن الموت وأسطورة نزولها إلى العالم السفلي، ومن خلال مناماتها قالت "وسرحت بأفكاري، نمت لست ساعات، وأبلغي حلم عظيم... أتذكر أبواباً تفتح، باب يفضي إلى باب... طوال ست ساعات كنت أشرع الأبواب الموصدة، الأبدية." (العيسى، 2015: 142). هنا تصف العيسى المكان الجسد، ومنه جسد الأثنى، وتأتي بمجموعة متقابلات مكانية: الماء مقابل الجفاف والسماء مقابل الأرض.

وفي مقطع آخر من الرواية تقول "ماذا تمثل لي أنوثتي؟ وما علاقتها بموتي، وميلادي،... إنها ليست شيئاً يظهر ويفيض، بل هي شيء يغوص ويغيب، كما لو أنها ماءً تجذبه مسام الأرض، عميقاً إلى العالم السفلي، الأنوثة إذن، هي بوابة السماء والأرض، الميلاد والموت، الأعلى والأسفل، وبساطة شديدة: ضرب من المعرفة" (العيسى، 2015: 90) ونجد الروائية أنها لم تأتِ بذكر أسطورة (عشتار/إنانا) والعالم السفلي هنا؛ إلا لأنها تريد إعلامنا بالعالم الباطني وبخفايا النفس والذات، فالأسطورة تكشف عن ثلاثة أوجه للذات (إنانا ونشوبور وأريشكيغال) في العالم السفلي، مقابل الشخصيات الثلاث باللغة الفرويدية: (الأنا العليا، والأنا، والهو) حيث إنانا تمثل الأنا الواقعية، ونشوبور تمثل (الأنا العليا المثالية)، وأريشكيغال تمثل (الهو) الجانب المظلم للذات. وفي نهاية المطاف أدركت عائشة بطله الرواية بأنه لا خلاص من الأوجاع والآلام إلا بالعودة إلى الحياة وعالم الواقع، وتركه العالم السفلي/عالم الموتى والمخاوف، وبعدها أدركت أن هناك ثمة ما يستحق العيش لِجَلِّهِ وهو السلام على الأرض.

4- خاتمة البحث والنتائج:

- 1- لم تقف دلالات المكان الفني في رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي عن المعنى الواقعي والإيهام بالواقع فحسب، بل تعددت دلالاته إلى الكشف عن الجانب الاجتماعي والكشف عن أيديولوجيا الشخصيات الرواية، وعن معادل فني للمشاكل النفسية والسياسية.
- 2- الكاتبة العيسى في هذه الرواية لم تقتصر عن التعبير الواقعي لعلاقة الشخصيات بالمكان هندسياً وجغرافياً، بل عبرت عن علاقتها به حميمياً، وباخترافها العوالم الداخلية للشخصيات مع المكان كشفت عن الحالة الشعورية، والتي تسهم في رصد تحولاتها الداخلية.
- 3- تكمن إبداعات الكاتبة بثينة العيسى في هذه الرواية عندما عبرت عن ارتباط الشخصيات بالمكان عبر علاقة التنافر بين الشخصيات مع المكان، وعندما رسمت المكان بحيزٍ مُعَادٍ مفزع؛ بسبب حالة الاغتراب النفسي والفكري، والتي تؤدي بشخصيات الروائية إلى التفكير بالموت أو الانتحار.
- 4- لم تقف الكاتبة في هذه الرواية عند تحديد جغرافية المكان ووصفه؛ بل عملت على رسم مكانه ودلالاته وما تجري على ساحته من أحداث وخلافات.
- 5- خلقت الكاتبة من انعدام الرابط بين عائشة والمكان علاقة الاغتراب واللا إتماء، حتى تحول المكان إلى عالم الخيال والموتى.
- 6- يشكل المكان الموحش والمخيف عتبة عنوان هذه الرواية، ويكشف هذا المكان الخيالي حجم التردد والمأساة الإنسانية التي صارتها شخصية عائشة التي تمثل الأنتى المشرقية.
- 7- أرادت الكاتبة بثينة العيسى المزج بين العالمين الداخلي والخارجي، وجعل منهما نافذة لتصوير تجليات الموت المتكررة عبر حلم عائشة في يقظتها ومنامها.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، جمال الدين، (1989)، لسان العرب، المجلد (2)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- أدونيس، (1993)، الصوفية والسريالية، دار الساقي بيروت، لبنان.
- باشلار، غاستون، (2006)، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط(2) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الأردن.
- بن نور، بهاء، (2014)، الواقع والممكن، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن.
- التمار، عبد الرحمن، (2019) الممكن المُتخيّل، المرجعية السياسية في الرواية، ط(1)، كنوز المعرفة، عمان.
- جنداري، إبراهيم، (2012)، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، دار تموز، سورية.
- سعد، عبد العزيز، (1970)، الزمن التراجيدي في الرواية، مكتبة الأنجلو المصرية.
- سويرتي، محمد، (1991) النقد البنيوي والنص الروائي، ج (2)، دار البيضاء.
- صالح، فخري، (2009)، في الرواية العربية الجديدة، ط1، دار العربية للعلوم، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر.
- الصالح، نضال، (2001)، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- العيسى، بثينة، (2015)، عائشة تنزل إلى العالم السفلي، الطبعة (10)، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان.
- الكندي، يعقوب بن إسحاق، (1978)، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- لوتمان، يوري، ومجموعة مؤلفين، (1986)، جماليات المكان، ط(2)، دار البيضاء، المغرب.
- النصير، ياسين، (1986)، إشكالية المكان في النص الأدبي، دراسات نقدية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- هورست ريديكر، (1977)، الانعكاس والفعل: ديالكيتب الواقعية في الإبداع الفني، ترجمة فؤاد مرعي، دار الجماهير، دمشق.
- هيدجر، ستروس، عبد الرزاق الدواي، (2018)، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت.

- ولكشتاين، دايان و كريم، صموئيل، (2007)، إنانا ملكة السماء والأرض، ترجمة شاكرا الحاج مخلف، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق. الدوريات:
- شافالييه، جون، و قبريرانت، الآن، ترجمة: سعد، فيصل (1990)، "معجم الرموز" باريس، نشر في مجلة الباب، ع 6، صيف، 2016، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث: المملكة المغربية.
- عصفور، جابر (1993)، زمن الرواية، في افتتاحية مجلة الفصول القاهرة العدد الخاص عن زمن الرواية، ج(1)، شتاء. القاهرة.

شۆئنه خه یالییه کان له رۆمانی عایشه داده به زیت بۆ جیهانی ژیرهوه (بوسهینا ئه لعهیسی)

سوزان مشیر حمد

بهشی زمانی عه ره ب، کۆلیژی پهره رده ی بنه ره تی، زانکۆی سه لاهه ددین-

هه ولیر، هه ولیر، هه ریمی کوردستان، عیراق.

suzan.hamad@su.edu.krd

پوخته

گومانی ئیدا نییه که "شوین" توخمه کی سه ره کی کاری ئه ده بی گپرا نه وه یه، به تابه تی له رۆمانه پۆست مۆدیرنه کاندایه نانه تیش هه ندیک به وینکها ته ی داده یین، کهوا هه موو توخمه کانی تری گپرا نه وه له خۆی ده گریت و به یه که وه یان ده به ستیته وه. رۆمانی عه ره بی نوێی هه ولی ئه وه ده دات، که له وه سفی شویندا له پانتاییه ته سه که کاندایه ر بچیریت وه له فه زایه کی به رفراواتر، که شوینی ئیرامان و خه یالکردنه تیشک بخاته سه ر (شوین) و به رجه سه ته ی بکات. هه ره وه که ئه مه له رۆمانی "عایشه دابه زی بۆ جیهانی ژیره وه" له لایه ن رۆمان نووسی کوه بی (بسینه ئه لعه یسی) دا ده رده که وتن. له میانه یی خولقاندنی جیهانیکی جیاوازتر له پتوانه وه دا، فه زای شوین له ئیو ئاسۆی فه لسه فی و ده روونی و رۆخی و کۆمه لایه تیدا ده خو لیتته وه، ئه مه ش له که سایه تی "عایشه" دا ده رده که ویت، هه ره وه که له سه ره تای رۆمانه که دا پیمان ده لیت "من عایشه م، له ماوه ی حه وت پۆژی دیدا ده مر، تا وه کو ئه و کاته ش بریارم داوا بنوو سم"، نوو سه ره ی کو بی (بسینه ئه لعه یسی) له ئه فسانه ی (عیشتر)، له چه ره سه ره ی دابه زینی (ئینانا)، چیرۆکیکی مۆدیرن له باره ی دابه زینی عایشه بۆ ناو دۆخی ناله باری و دلشکاو یی و ئه شکه نجه درا وه کان دروست ده کات.

له ژیر پۆشایی ئه م رۆله ستراتیژییه ی شوین و ئه م بۆشاییه ره خه بییه دا، توژی نه وه که مان تیشک ده خاته سه ر شوینی رۆمانه که له گه رانه تیوری و پراکتیکییه کان بۆ گه یشتن به ده رکه وته هونه ری و سیماتیکی و ئیستاتیکییه کانی شوین به تابه تی له رۆمانی مۆدیرنیستی "عایشه داده به زیت بۆ جیهانی ژیره وه". له م توژی نه وه یه دا په ره وی میتۆدی وه سفی شیکاری کرا وه، له شیکر نه وه ی بونیادی هونه ری (شوین) له رۆمانه که پشت به میتۆدی ده روونی به ستا وه.

و شه سه ره کییه کان: خه یالکار، فه زا، فانتازیا، جیهانی ژیره وه.

The Imagined Place in The Novel "Aisha Descends to The Underworld" By Buthaina Al-Essa

Suzan Musheer Hamad

Department of Arabic language, College of Basic

Education, Salahaddin University-Erbil, Erbil,

Kurdistan Region, Iraq.

suzan.hamad@su.edu.krd

Abstract

There is no doubt that (place) is the basic context in narrative literary work, especially in postmodern novels, to the extent that its author considered it the structure that included all the elements of the narrative, and linked all the narrative elements together. The new Arab novels seek to break out of the description of the place from its narrow scope. To a wide area, including contemplative and imaginative space and this is what the novel (Aisha Descends to the Underworld) did. The Kuwaiti novelist (Buthaina Al-Essa) varied in creating her different fictional world. The reality of the place and its atmosphere are mastered in philosophical, psychological, spiritual and social horizons, through the character (Aisha), and what surprises us comes from the writer of the novel: "I, Aisha, will die within seven days, and even this matter decides for me to write."

Based on this strategic role of place and this critical gap, our study will focus on the fictional place in its theoretical and applied discussions to reach the artistic, semantic and aesthetic manifestations of the place, especially in the modernist novel "Aisha Descends to the Underworld." Buthaina Al-Essa. The research reached a set of results, including: The desolate and frightening place constitutes the threshold of the title of this novel, and this imaginary place reveals the extent of the hesitation and human tragedy that the character Aisha, who represents the Levantine female, suffered. The approach followed is the descriptive analytical approach and the use of the psychological approach in analyzing the artistic structures of the novel framework.

Based on this strategic role of place and this critical gap, our study will focus on the fictional place in its theoretical and applied discussions to reach the artistic, semantic and aesthetic manifestations of the place, especially in the modernist novel (Aisha Descends to the Underworld).

Keywords: imagination, space, fantasy, underworld.